البيئة الأدبية في العصر العباسي ما هي عوامل تطور الأدب العباسي؟ بدت الحياة في العصر العباسي أكثر ازدهارًا وتألقًا ممّا كانت عليه في العصر الأموي لا سيما على الصعيد الأدبي منها، ولعل اتساع رقعة الدولة الإسلامية آنذاك بفعل الفتوحات الإسلامية واستقرار الناس في المدن والأمصار واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى، أدى إلى تفعيل الحركة الأدبية والثقافية في العصر العباسي، فقد تأثر النشاط الأدبي بما قدمته الشعوب الأخرى من ألوان الثقافات والآداب، ولعل حركة الترجمة كانت قد ساعدت الأدباء على الانخراط في ثقافات الغير والتأثر بها والنسج على منوالها مما أنعش الثقافة الأدبية في العصر العباسي حيث أخرجها عن تلك النمطية المألوفة والتقاليد الفنية الأدبية التي كانت شائعة في العصر الإسلامي والعصر الجاهلي.[١] الشعر في العصر العباسي الأول كيف انعكست صورة المجتمع العباسي على الشعر؟ لطالما مثّل الشعر انعكاسًا للمجتمع الذي يقال فيه، فيتأثر بما يمر به من تخبّطات سياسية واجتماعية، ويتلوّن بتلوُّن الثقافات الإنسانية المتاحة وطبيعة أهله وتوجهاتهم الفكرية، وبذلك فإنّ الشعر العباسي قد استوى على صورته الجديدة التي لم يعهدها الشعر في سابق عهده بفضل الأحداث التي مر بها المحتمع العباسي من فتن وحروب وصراعات فكرية وسياسية أدت إلى نشوء حضارة جديدة لا على المستوى الاجتماعي وحسب، إنما على المستوى الأدبي أيضًا.[٢] لقد بدا شعر هذا العصر كحلقة وصل بين الماضي المتمثل بالتقاليد الفنية الشعرية العريقة والآتي المتمثل بارتباكات النزوع والتمرد التي شهدها العصر على أيدي شعراء كأبي نواس وبشار بن برد، ومن جهة أخرى كان قد مثّل حلقة وصل بين الثقافة العربية للمجتمع العباسي والثقافات الأخرى، ويبرز ذلك جليًا في قصائد الشعراء المولدين من الفرس وغير العرب، بالإضافة إلى تفرع أغراضه ومجالاته بفضل إقحامه في شتى أحداث الحياة الإنسانية.٣] قد مر الشعر خلال فترة الحكم العباسي بمراحل شهدت تطوره وازدهاره في مواضع، كما نشأت فيه أغراض شعرية جديدة لم يعهدها شعراء العصور السابقة في قصائد مستقلة، واندثرت فيه أغراض لم تعد تلبّي حاجة العصر، فقد ضعف الشعر السياسي الحماسي والغزل العذري، وحل محلهما شعر التكسب والغزل الصريح، كما تبدلت فيه الكثير من الألفاظ والمعاني والأخيلة المفعمة بروح البداوة، وحل محلها ما يوائم البيئة الحضرية الجديدة، كما ظهرت أنواع من الشعر التي تتحد مع العلوم كالشعر الفلسفي الذي يعالج فيه الشاعر بعض قضايا الفلسفة والفكر والذي كان أبو العلاء المعري من أبرز رواده.٤] عوامل ازدهار الشعر لقد كان للازدهار الحضاري والتقدم العلمي والثقافي اللذين شهدهما العصر العباسي أثر بارز في تطور الشعر، وقد ترك كل منهما صداه في الشعر العباسي فظهرت فيه مجالات متعددة للقول كان للشعراء حظ وافر منها، كما كان للتحول الاجتماعي الذي شهده العصر العباسي بفعل امتزاج العرب بغيرهم من الأمم، أثر في استحداث موضوعات وأغراض شعرية جديدة فظهر شعر اللهو والمجون والخمريات والزهد وغيرها.[٤] قد تأثّر الشعر العربي في بداية العصر العباسي بحالة الاستقرار السياسي التي حدثت عقب سقوط الدولة الأموية وانتهاء الصراع الدامي الذي قام بين الأمويين والعباسيين على الحكم والرياسة، ممّا جعله يمر بمرحلة جديدة تتيح له التقاط أنفاسه بعد أن غرق في وحل الفتن والخلافات السياسية في أواخر العصر الأموي، ولكن هذا لا يعني أن الشعر في العصر العباسي الأول قد أصبح بعيدًا عن ميدان السياسة، فتوالي الحكام وتعدد الولاة واختلاف سياساتهم كانت حقلًا واسعًا يغذي الشعر ويعزز مضامينه.٥] كما أن خلفاء بني العباس كان لهم ميل بالغ للشعر، فكانوا يتخذون من الشعراء ألوانًا إلى جانبهم في القصور والرحلات يؤرخون لهم ويسجلون آثارهم وأبرز إنجازاتهم من خلال الشعر، وهذا كان قد ساعد على ازدهار الشعر في العصر العباسي وحث الشعراء على الإكثار من النظم فظهر ما يعرف بشعر التكسب لا سيّما أن أكثر الشعراء كانوا يتخذون شعرهم مهنة ويتكسبون به ويتقربون من الخلفاء والحكام.٦] قوة الملكة اللغوية للشعراء إنّ المتمعّن في تاريخ الأدب العباسي ومسار النقد الأدبي الذي كان شائعًا آنذاك، ليدرك أن الشعراء العباسيين قد سجلوا نقطة تحول في منهج الشعر العربي، وهذا لا يصدر إلا عن أصحاب القريحة الشعرية والملكات الإبداعية المبنية على أساس من الأصالة الشعرية، فقد تتلمذ الشعراء العباسيين وتفتحت قرائحهم على الشعر الجاهلي والإسلامي الذي امتاز بقوته اللغوية وفصاحته وبلاغته التي لا تجارى.٧] كما أنّ النقاد العباسيين كانوا قد اتخذوا الشعر القديم أنموذجًا يقيسون بناء عليه قوة الشعر العباسي ووهنه، وعلى الرغم من كل هذا الحرص على جعل الشعراء العباسيين يسيرون على خطى الشعراء القدامى بوصفهم الأبلغ والأفصح، إلا أن الذات المبدعة الكامنة في شعراء بني العباس ظلت تطل في أشعارهم من خلال الحركات التجديدية والثورية التي كانت تتمرد في كثير من الأحيان على التقاليد الشعرية القديمة، فكانت أشعارهم تتراوح بين الأصالة الشعرية التي صقلت لغتهم الشعرية، والإبداعية الذاتية التي تنم عن ملكة شعرية إبداعية.٧] التجديد في الموضوعات القديمة حافظ الشعراء العباسيون على كثير من الأغراض الشعرية القديمة التي عرفت في العصرين الجاهلي والإسلامي، وظلوا ينظمون فيها قصائدهم، إلا أن روح العصر لا بد وأن تترك بصمتها في نتاج شعرائها وأدبهم،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

لذلك فقد ارتأى للشعراء العباسيين النظم في الأغراض الشعرية القديمة بأسلوب عصري جديد يمنح قصائدهم تميزًا وتفوقًا على ما سبق من نظم في الأغراض نفسها، ولعلهم قد أحسنوا المزج بين روح العصر العباسية وبين الأصالة الشعرية الموروثة.[٨] لعل من أبرز الموضوعات والأغراض الشعرية القديمة التي تابع العباسيون النظم فيها: موضوعي المدح والوصف، ففي المدح ارتكز الشعراء على الصفات الخلقية والإنجازات الفعلية للأبطال والخلفاء في المدح سيرًا على نهج الشعراء القدامى، إلا أنهم استقو صورهم وأخيلتهم من البيئة الحضرية وبدت ألفاظهم أكثر سلاسة ومرونة من الألفاظ التي استخدمت في الشعر القديم وبدت لغتهم أقرب إلي العربية العامية المستخدمة في العصر العباسي، وكثيرًا ما كان يخالجها شيئًا من العبارات والألفاظ التي استحدثها المولدون.[٩] أما في شعر الوصف فقد اتبع شعراء العصر العباسي الوصف التفصيلي وملاحظة المحاسن للعناصر الموصوفة إنسانية كانت أو مكانية كما هو الحال لدى الشعراء القدامى، إلا أنّ شعر العباسيين كانت قد اندثرت فيه ملامح البداوة والصحارى والأطلال التي كان الشعراء القدامى ينكبون على وصفها، وأغرقوا في وصف ملامح الحضارة من قصور وبرك ومغاني وصفًا دقيقًا يضج بشتى أساليب الصنعة الفنية والمحسنات البديعية حتى بات الشعر عندهم صناعة لا تُتاح للجميع، ثم إن هذا التلوين والتجديد في الموضوعات القديمة لم يكن مقصورًا على الوصف والمدح، وإنما شمل سائر الأغراض الشعرية كالفخر والهجاء وغيرها. [٩] الإتيان بموضوعات جديدة لم يكتف شعراء العصر العباسي بالموضوعات القديمة التي نظم بها الشعراء القدامى، بل عمدوا إلى ابتكار موضوعات شعرية جديدة لم يعهدها السابقون، منها ما اندرج تحت الموضوعات الاساسية القديمة كوصف عمليات الصيد التي كان يقوم بها الخلفاء في إطار المدح الشعري، ومنها ما كان بديلًا لموضوع شعري قديم كوصف مظاهر الحضارة بدلًا من وصف الأطلال وملامح البداوة والصحارى، هذا بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة كتصوير الشقاء والألم، وتصوير غيرة الزوج ووصف الحمى.[١٠] قد تمكن الشعراء العباسيون من استحداث موضوعات شعرية جديدة نظمت في قصائد مستقلة وعرفت بها، كالخمريات وهي قصائد قيلت في وصف الخمر وشربها واستحسانها، واشتهر بها أبو نواس، وتشكل وصف مجالس اللهو والغناء، وأنواع الألعاب والرياضات كالشطرنج ولعبة الجوكان والسيف، والغزل بالغلمان وغيرها من الموضوعات التي تتصل بطبيعة الحياة الجديدة في المجتمع العباسي.[١١] التجديد في الأوزان والقوافي اجتاحت موجة تجديد الشعر العباسي على كافة مستويات اللفظ والمضمون الإيقاع الموسيقي الذي شهد حالة من الثبات في كافة العصور السابقة، إذ يعدّ الوزن والقافية ركنين أساسيين يقوم عليهما الهيكل العام للقصيدة العربية، ويبدو أن ثورة التجديد لم تغفل عن تحريك الإيقاع الموسيقي المتمثل بالأوزان والقوافي في الشعر العباسي، فقد عمد بعض الشعراء الثائرين على التقاليد الشعرية الموروثة إلى تبديدها وخلخلة الثابت منها، ولذلك فإنّنا نجدهم قد أخذوا ينوّعون في القوافي والأوزان لتنسجم والغاية الغنائية التي أصبحت القصائد تنظم لأجلها في ذلك العصر.[١٠] لقد شاع الغناء في العصر العباسي وكثرت مجالسه، وشجّع الحكام عليه ولاقى منهم استحسانًا كبيرًا ممّا استدعى الشعراء لنظم القصائد الغنائية تلبية لحاجات العصر، وقد تطلب هذا إحداث تغيير وتنويع على المستوى الإيقاعي للقصيدة والمتمثل في الوزن والقافية، فظهرت قصائد تعرف بالمخمسات والمسمطات و الأراجيز التي تتيح للشاعر حرية أكبر للتنويع في الأوزان والقوافي، كما ظهر لون جديد من القصائد يسمى بالقصائد المزدوجة ومن أبرز روادها أبو العتاهية، ويرتكز فيها الشاعر على أسلوب التصريع في سائر أبيات القصيدة.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي